ثقافة الحوار كآلية لتحقيق الجودة في الحياة الأسرية

Culture of dialogue as a manner to achieve quality in family life

سمير قريد، جامعة قالمة

ملخص

في هذه الدراسة سنحاول تسليط الضوء على موضوع ثقافة الحوار كآلية لتحقيق الجودة في الحياة الأسرية من خلال التطرق أولا إلى بعض المفاهيم مثل ثقافة الحوار، الأسرة، جودة الحياة الأسرية، ثم التعرض ثانيا إلى الآليات المتبعة من طرف الأسرة في التربية على ثقافة الحوار من خلال تعميم قيم التسامح والاعتراف بالآخر وإدارة الخلافات بطرق سلمية بين أفراد الأسرة، ثم التطرق أخيرا إلى انعكاسات ثقافة الحوار على الجودة في الحياة الأسرية والتي تتمظهر في الاستقرار الأسري والتعايش السلمي، واحترام الرأي والرأي الآخر.

الكلمات المفتاحية: الحوار، الجودة، الحياة الأسرية.

Abstract

In this study, we will try to shed light on the topic of the culture of dialogue as a manner to achieve quality of life in family by using some concepts such as the culture of dialogue, the family, the quality of family life, and then followed by the family culture education of dialogue through generalization, the values of tolerance, recognition of the other concepts, and peaceful management of differences between family members. Finally, repercussion of the implications of culture of dialogue on quality of life in family, that manifests in family stability, peaceful coexistence, and respect for opinion and other opinion.

Key words: dialogue, quality, life family.

مقدمة:

تشكل الأسرة في أي مجتمع إنساني الآلية الفعالة في إعداد الأفراد وتنشئتهم خلقيا وعقليا واجتماعيا، كما تؤهلهم للقيام بأدوارهم الاجتماعية وتلبية حاجات المجتمع، وتمثل التربية على ثقافة الحوار أهم المفاهيم التي تعلمها الأسرة لأبنائها، من أجل تحقيق انسانيتهم وتنمية قدراتهم على التفاعل والتسامح والتعاون والاعتراف بالآخر، مما يعزز لديهم مفهوم الانتماء والمشاركة في الحياة العامة.

ولعل تحقيق الجودة في الحياة الأسرية، وتفعيل دورها في عملية التربية على ثقافة الحوار تتطلب- في تقديرنا- الانتقال بالأسرة من وضعية تقليدية تتميز بالسيطرة الأبوية والانعزال والانغلاق، إلى وضعية تحمل مواصفات الجودة بمفهومها الشامل، عن طريق تنمية ممارسات وسلوكيات تكرس قيم التواصل والتفاعل والتفاهم، وتمد الحياة الأسرية بالمزيد من الحيوية والفاعلية.

ونظرا إلى أهمية الدور الذي تلعبه الأسرة في تنشئة الأفراد على قيم الحوار، وما يتطلبه ذلك من قبول التنوع والاختلاف بين الذات والآخرين وتقبل النقد والاعتراف بالخطأ والانتقال بالتفكير من حالات التعصب إلى انفتاح التفكير وقبول الآخر، سنحاول في هذه المداخلة تسليط الضوء على موضوع " ثقافة الحوار كآلية لتحقيق الجودة في الحياة الأسرية" من خلال التطرق أولا إلى بعض المفاهيم مثل ثقافة الحوار، الأسرة، جودة الحياة الأسرية، ثم التعرض ثانيا إلى الآليات المتبعة من طرف الأسرة في التربية على ثقافة الحوار من خلال تعميم قيم التسامح والاعتراف بالآخر وإدارة الخلافات بطرق سلمية بين أفراد الأسرة، ثم التطرق أخيرا إلى انعكاسات ثقافة الحوار على الجودة في الحياة الأسرية والتي تتمظهر في الاستقرار الأسري والتعايش السلمي، واحترام الرأي والرأي الآخر.

أولا- تحديد المفاهيم

1-ثقافة الحوار

يعد الحوار بكافة أشكاله ومسمياته المتعددة من لوازم الحياة وضمان استمرارها وتتطلب لغة الحوار التعارف والتعاون والتعايش من جهة، والتمكن من لغة الحوار، وإدراك وظائفها الاجتماعية وأبعادها النفسية والتربوية، والتنبه إلى تأثير الكلمة ومفعولها، واختيار الاستجابة وتنويع الأسلوب واختيار المفردات والمصطلحات، والتمكن من لغة الآخر في الحوار معه والإحاطة بمعرفته، وذلك بالإدراك الكامل لخلفيته الفكرية وقيمه وتاريخه وحاضره، وتعد لغة الحوار عاملا مهما من عوامل النهوض الحضاري ورسالة الإصلاح والتنوير في المجتمعات[1].

ويعرف محمود حيدر الحوار بأنه تبادل أفكار بين فريقين أو أكثر في إطار موضوع ما، حول قضية ما، بغية الاتفاق على صيغة حل أو اتفاق أو تسوية في شأن القضية التي هي مدار الحوار، والآلية التي يسلكها الحوار لا بد لها أن تلحظ تبادل الكلام ومراجعته بين كل من المتكلم والمتخاطب، حيث إن غاية الحوار هي توليد الأفكار الجديدة في ذهن المتكلم كما في ذهن المخاطب[2].

ويبرز حسن جمعة خصائص ثقافة الحوار بوصفها مشروعا مجتمعيا وحضاريا كما يلي:

1. اعتراف كل طرف للآخر.

2. احترام كل طرف للآخر، وعدم الوقوع في استخفاف أي منهما بالآخر في منزلته وثقافته، وجنسه ولونه.
3. الإيمان بالمساواة في منزلة الطرفين، إذ لا يجوز الانطلاق من العصبية والهوى، أو الهيمنة والتسلط، ومن ثم تنمية روح الإبداع، وتشجيع العناصر الشخصية الذاتية.
4. الانفتاح على الآخر نفسيا وفكريا وموضوعيا، وعدم وضع شروط مسبقة لمراجعة أي مسألة، وعدم اللجوء إلى توظيف إمكانيات التفوق في الحديث لإثبات الذات على حساب الآخر.
5. الوعي بالذات، واعتماد الرغبة في الحوار، والثقة به في صميم تنمية الديمقراطية الواعية، وتبني القيم الفاضلة للوصول إلى أهداف مشتركة تفيد الجميع، فالحوار بهذا المبدأ يحقق العدالة، ويبعده عن السقوط في الجدل العقيم غير المنتج [3].

بهذا المعنى، يعتبر الحوار من أهم وسائل التواصل الفكري والثقافي والاجتماعي بين الأفراد، فهو وسيلة هامة من وسائل تبادل الآراء والمعلومات، كما يعتبر من الأنشطة التي تحرر الفرد من الانغلاق والانعزالية، وتفتح له قنوات للتواصل يكتسب من خلالها المزيد من المعرفة والوعي، ويمكن تحديد أهم وظائف الحوار كما يلي:

- يساعد الحوار الفرد على تدريب الذات، ويشجعه على المناقشة وإبداء الرأي وتوضيح آرائه للآخرين.
- يثري الحوار ثقافة الفرد ومعارفه ويوسع مداركه من خلال تبادل الخبرات والتجارب والآراء.
- يساهم الحوار في إقناع الآخرين، وتغيير اتجاهاتهم التي قد تدفع إلى تعديل سلوك الأفراد إلى الأفضل.
- يساعد الحوار على الاستماع و قبول النقد واحترام الرأي الآخر.
- يساعد الحوار على تنمية قدرة الأفراد على التفكير والتحليل، والاستدلال المشترك، مما يساهم في وجود ثقافة مشتركة، وتفكير جماعي بين أفراد المجتمع الواحد.
- يساعد الحوار على حل الكثير من المشكلات، وسوء التفاهم الذي قد يحدث بين الأفراد نتيجة لعدم وضوح الأفكار للآخرين [4].

ومن خلال ما سبق يمكن أن نتبنى تعريفا إجرائيا لثقافة الحوار كالتالي:

تشكل ثقافة الحوار اللبنة الأولى من لبنات احترام الرأي والرأي الآخر، ومقدمة لبناء أسس التعايش السلمي باعتبارها ضرورة إنسانية وحضارية، فالحوار في معناه الصحيح لا يؤدي إلى الهدف المنشود إلا إذا كان هناك احترام متبادل بين الأطراف المتحاورة، وبهذا المعنى فإن الحوار يعني التسامح واحترام حرية الآخرين حتى في حالة وجود اختلاف في الرأي، كما أنه الطريق إلى استيعاب المعطيات والوقائع المكونة لمواقف الأطراف المتحاورة، بما يقود إلى فهم متبادل [5].

2- الأسرة:

تشكل الأسرة أحد الأنساق الهامة في المجتمع لما لها من أهمية بالغة في الحفاظ على البناء الاجتماعي، ولذلك شغلت اهتمام المفكرين والباحثين، حيث تعرف بأنها منظومة اجتماعية صغيرة تتألف من الزوج والزوجة

والأفراد وتتكون بينهم روابط قانونية وأخلاقية وروحية، وتعتبر نواة المجتمع والركن الأساسي في كيانه، كما أنها وحدته الأساسية حيث يتكون منها البناء الاجتماعي العام باعتبارها مؤسسة دائمة ومستمرة تعتمد على أواصر الدم والمصير المشترك [6].

وبتعبير آخر تمثل الأسرة نظام اجتماعي متكامل تتوزع داخلة المكانات والأدوار الاجتماعية لتحافظ على استقرار المجتمع وديمومته.

وفي السياق ذاته، تعرف الأسرة من منظور سوسيولوجي بأنها الوحدة البنائية الأساسية التي تنشأ عن طريقها مختلف المجتمعات، وهي التي تقوم بالدور الرئيسي في بناء صرح المجتمع وتدعيم وحدته، وتنظيم سلوك أفراده، بما يتلاءم مع الأدوار الاجتماعية المحددة، ووفقا للنمط الحضاري العام [7].

وهو نفس المحتوى الدلالي الذي أشار إليه **أحمد زكي بدوي** في تعريفه للأسرة بأنها الوحدة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، وتقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل الجمعي والقواعد التي تقررها المجتمعات المختلفة، ويعتبر نظام الأسرة نواة المجتمع لذلك كان أساسا لجميع النظم[8].

ويذهب بعض الباحثين إلى التأكيد على أن دور الأسرة لا ينحصر فقط في الإنتاج البيولوجي والاجتماعي، بقدر ما يسهم في تنمية الرابط الاجتماعي، وتدعيم العلاقات الاجتماعية بقوله " فبعدما كان يتمثل دور الأسرة الأول في تشريب التراث الثقافي والاقتصادي والاجتماعي، أصبح اليوم أكثر إلى العمل على بناء الهوية الشخصية للأفراد وعلى إقامة الرباط وتدعيم التواصل ما بين أفراد الأسرة وما بين الأجيال باعتبار الأسرة مركز العلاقات الاجتماعية [9].

أما حليم بركات فيقدم تعريفا شاملا للأسرة باعتبارها نواة التنظيم الاجتماعي ومركز النشاطات الاقتصادية في المجتمع العربي، فتتمحور بها وحولها حياة الناس، بصرف النظر عن أنماط معيشتهم، وانتماءاتهم الطائفية والاثنية والاقليمية والقبلية، وهي أيضا الوسط بين الفرد والمجتمع والمؤسسة التي يتوارث فيها الأفراد والجماعات انتماءاتهم الدينية والطبقية، وحتى الثقافية والسياسية إلى حد بعيد[10].

وبناء على ما سبق، يمكن أن نعرف الأسرة إجرائيا بأنها مؤسسة اجتماعية وبيولوجية تعنى بعملية التنشئة الاجتماعية والتربوية لأفرادها، وتتصف فيها العلاقات الاجتماعية بالتماسك والترابط والتواكل على أساس اللحمة النسبية والقرابية، والتوحد حول المصير المشترك.

3- جودة الحياة الأسرية:

قبل التطرق إلى مفهوم جودة الحياة الاسرية، ينبغي- في تقدير الباحث- الإشارة إلى مفهوم جودة الحياة كما يلي:

بدأ الاهتمام بمفهوم جودة الحياة في المجال الطبي، حيث لاحظ الأطباء العلاقة بين الحالة الصحية للفرد، وضرورة الاهتمام بقضايا الحياة لدى المرضى، حيث يدرك المرضى جودة الحياة بصورة تختلف عن الأسوياء، والعمل على تنمية العلاقات الاجتماعية لديهم من خلال تدخلات استراتيجية فعالة[11].

أما منظمة الصحة العالمية فتقدم تعريفا شاملا لجودة الحياة حيث يشير إلى إدراك الفرد لوضعه في الحياة في سياق الثقافة والقيم التي يعيش فيها ومدى تطابق أو عدم تطابق ذلك مع أهدافه وتوقعاته وقيمه واهتماماته الخاصة بصحته البدنية والنفسية، ومستوى استقلاليته وعلاقاته الاجتماعية واعتقاداته الشخصية وعلاقته بالبيئة بصفة عامة، وبالتالي فإن جودة الحياة بهذا المعنى تشير إلى تقييمات الفرد الذاتية لظروف حياته[12].

والواضح أن هذا التعريف بين أن جودة الحياة ترتبط بالجوانب النفسية والقيمية والثقافية في شخصية الفرد، ومدى إحساسه بالسعادة والاستقلالية التي تنعكس ايجابيا على علاقاته الاجتماعية واعتقاداته الشخصية.

وهناك من الباحثين من يميز ثلاثة أبعاد لجودة الحياة كما يلي:

1- جودة الحياة الموضوعية: وتشمل هذه الفئة الجوانب الاجتماعية لحياة الأفراد والتي يوفرها المجتمع من مستلزمات مادية.

2- جوانب الحياة الذاتية: ويقصد بها مدى الرضا الشخصي بالحياة، وشعور الفرد بجودة الحياة.

3- جودة الحياة الوجودية: وتمثل الحد المثالي لإشباع حاجات الفرد، واستطاعته العيش بتوافق روحي ونفسي مع ذاته ومع مجتمعه[13].

وفي ضوء تعريف مفهوم جودة الحياة، يمكن الاقتراب من فهم جودة الحياة الأسرية الذي يشير إلى مدى تمتع أعضاء الأسرة بحياتهم معا كأسرة متماسكة تتميز بالتفاعل الأسري الايجابي، ومرونة الحياة اليومية، والحالة المادية المتيسرة للوالدين، والاتزان الانفعالي، والصحة الاجتماعية، والترابط الأسري[14].

كما يدل مفهوم جودة الحياة الأسرية على قدرة أو كفاءة أفراد الأسرة على مجابهة المخاطر الخارجية من جهة، ومواجهة العوائق الداخلية من جهة أخرى من خلال إنتاج مقومات التماسك الأسري وتحقق الاستقرار والتفاعل الإيجابي بين أفرادها[15].

وبتعبير آخر فإن الأسرة الصحية تتميز بديمومة العلاقات الاجتماعية والاستقرار، والتفاعل الايجابي بين أفرادها، وتمثل ثقافة الحوار آلية فعالة في توجيه سلوكيات أفراد الأسرة وتفاعلاتهم اليومية لأنها تعمل على كبح التوترات وتحقيق الاستقرار الأسري.

وهناك من الباحثين من يربط بين جودة الحياة الأسرية والصحة النفسية لأفرادها، من حيث توفر الأمان والتعاون ووضوح الأدوار وتحديد المسؤوليات، وإشباع الحاجات النفسية والانسانية وطبيعة العلاقات الأسرية التي تتسم بالمرونة والاحترام والتقبل والتقدير والحوار، بما يعزز الثقة لدى أفراد الأسرة ويشعرهم بالطمأنينة والأمن النفسي، وهذا ما يسمح برفع مستوى دافعيتهم وإبعادهم عن الاضطرابات الانفعالية وتجعلهم يكتسبون مفهوم واقعي لذواتهم وصحة نفسية سليمة[16].

أما عن أبعاد جودة الحياة الأسرية، فيمكن أن تصنف إلى بعدين أساسيين هما:

– البعد الأول: يشمل جوانب أو مجالات فردية، وتتمثل في السعادة الانفعالية، البيئة المادية، السعادة الاجتماعية، الصحة الانتاجية، والمقاومة أو أساليب المواجهة.

– البعد الثاني: يشمل المجالات الأسرية، وتتمثل في التفاعل الأسري، الحياة اليومية الوالدية، الحالة المادية المتيسرة[17].

والواقع أن كلا البعدين يتصلان بالأداء الجيد للوالدين في إضفاء جو أسري سعيد يتميز بالتفاعل الايجابي، والترابط القوي بين أفراد الأسرة، وإشباع الحاجات النفسية والمادية للأبناء، وتحقيق التماسك الأسري.

وبناء على ما سبق يمكن أن نعرف جودة الحياة الأسرية إجرائيا بأنها مدى تمتع أفراد الأسرة بالصحة النفسية والبدنية، وقدرة الوالدين على إنتاج علاقات اجتماعية دائمة ومستقرة، ومدى إشباعهم للحاجات النفسية والمادية لأبنائهم، بما يحقق السعادة لأفراد الأسرة ويزيد من ترابطهم وتماسكهم وتفاعلهم بصفة ايجابية.

ثانيا– الآليات المتبعة من طرف الأسرة في التربية على ثقافة الحوار

لا شك أن للأسرة دورا كبيرا في غرس ثقافة الحوار في نفوس أبناءها منذ الصغر وتعويدهم على الحوار مما ينعكس ايجابيا على اتجاهاتهم وسلوكياتهم في تعاملهم مع الآخرين، كما يسهم الحوار في بناء العلاقات الايجابية بين الآباء والأبناء، ويؤدي إلى الاحترام المتبادل بينهم ويعزز ثقة الأبناء بأنفسهم، ويشجعهم على تحمل المسؤولية والتفكير السليم، والتعبير بصراحة عن المشكلات التي تواجههم[18].

وعليه فالأسرة السعيدة هي التي تتأسس على التفاهم والاحترام والحوار البناء بين أفرادها، كما تعطي لكل فرد من أفراد الأسرة الحرية في التعبير عن رأيه، كما تعمل على نبذ العدوانية والتعصب، وحل الخلافات بالمناقشة والحوار، وتعزز بذلك مفهوم التسامح والاعتراف بالآخر والتعايش السلمي بين أفراد الأسرة.

ولذلك سنحاول تبيان أهم الآليات المتبعة من طرف الأسرة في التربية على ثقافة الحوار كما يلي:

1–تعميم قيم التسامح:

يعد مفهوم التسامح اليوم مقوما من مقومات الحداثة السياسية والاجتماعية، لقدرته على حل الإشكالات الناتجة عن التعددية داخل المجتمع الواحد وبين المجتمعات، فهو البديل العادل للتعصب ورفض حق الآخر في الاختلاف، والسبيل الوحيد إلى تعايش سلمي قائم على الاستواء في الحقوق بين مختلف مكونات المجتمع[19].

وقد أكدت العديد من النظريات الحديثة، أن التسامح الاجتماعي يؤثر في نمو وتطور المجتمع، وذلك من تحرر الفرد من الحقد والكراهية، فالمتسامح يكون آمنا في ذاته ويتمتع بواقع رصين متحررا من التعصب ويتمتع بمرونة في علاقاته مع الآخرين تظهر على شكل التقبل والتفهم، ومشاعر الحب والمودة والاستجابات الايجابية والتفاعل الاجتماعي السليم[20].

ولاشك أن للأسرة- كإحدى مؤسسات التنشئة الاجتماعية- دور أساسي في تربية الأبناء على ثقافة التسامح من خلال تعزيز ثقافة الحوار وقبول الآخر، ونبذ العنف والتعصب، كما يسهم الوالدان في ترجمة هذه القيمة (التسامح) في حياة الأبناء اليومية عن طريق المعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والإخاء وثقافة السلام.

وتبعا لذلك، فإن إشاعة ثقافة التسامح إنما تبدأ من الأسرة، فالبيت له أثر كبير في هذا الجانب، فإذا كانت العلاقة بين الآباء والأبناء تقوم على لغة التسلط والاكراه والاستبداد، فمن البديهي أن تغيب عنه أجواء التسامح ويكون عاملا في نشر ثقافة العنف، لهذا يتعلمون أبنائه الاستبداد بالرأي وعدم احترام الآخر أو رأيه، كما أن تنامي السلوك التسلطي في تنشئة الأطفال من العوامل التي تحرض على العدوان وأحد أسباب شيوع لغة العنف بين الأفراد[21].

ووفقا للاتجاه السلوكي فإن اكتساب التسامح يتم عن طريق التعلم بالملاحظة من خلال أنموذج اجتماعي عبر محاكاته، وتعد الأسرة الجماعة المرجعية الأساسية في تعلم النمذجة، حيث يكتسب الأطفال العديد من السلوكيات من خلال التفاعل مع والديهم، فالوالدان أوضح النماذج التي يحاكي الأطفال سلوكهما ويتوحدون معها منذ فترات العمر المبكرة، فإذا ما كان الوالدان متسامحين في تصرفاتهم مع الآخرين ويتسمون بسعة الصدر، فهكذا يكون أطفالهما في المستقبل[22].

وبالمجمل فإن تعميم قيم التسامح في الوسط الأسري، يتطلب تربية الأبناء على قيم الحوار والاعتراف بالآخر، والتعايش السلمي، ونبذ التعصب والعنف، واحترام آراء الآخرين وتقدير مشاعرهم، كما يتوجب على الوالدين أن يتصفا بالصفح وسعة الصدر، والمودة والعطف، وتجاوز السلبيات، مع التأكيد على أن التسامح لا يعني التنازل عن الحقوق أو تقبل الظلم، أو تخلي الفرد عن قيمه ومعتقداته

2- نشر ثقافة الاعتراف بالآخر:

الاعتراف بالآخر يعني القبول بقناعات الآخرين والتعايش معهم بصرف النظر عن انتماءاتهم الفكرية ومعتقداتهم الأيدولوجية، وكذا احترام التنوع والتعدد واستيعاب كل الأطياف الاجتماعية انطلاقا من مفهوم العيش المشترك، وبعيدا عن النزعات الضيقة التي تحول دون بناء فضاء اجتماعي مشترك.

لهذا فإن مفهوم الاعتراف بالآخر،يناقض بشكل تام استخدام وسائل القهر والقسر لإقناع الآخر أو دفعه إلى تغيير قناعاته، فأنت ينبغي أن تعترف به كما هو بعيدا عن المسبقات الأيديولوجية أو القومية أو ما شاكل ذلك، وحينما نندفع إلى التوسل بوسائل قهرية للتغيير أو تبديل قناعات الآخر المختلف، فهذا ينم عن عدم الاعتراف بالآخر، فلا يمكن أن ينسجم هذا المفهوم مع نزعات القهر والفرض والدفع بوسائل مادية لتغيير المواقع الإيديولوجية والفكرية وتبديلها، فالاعتراف بالآخر في صورته الأولية يعني احترام حياته الإنسانية وكينونته الذاتية ومتطلباتهما، بعيدا عن أفكاري الخاصة تجاهه[23].

وتجدر الاشارة في هذا السياق، أن ثقافة الاعتراف بالآخر هي عملية تربوية بالدرجة الأولى لأن تقبل الآخر والاعتراف به هو سلوك متعلم يتربى الفرد عليه من قبل المؤسسات التربوية التي تساهم في إنتاجه إلى المجتمع، خاصة العائلة التيتربي أبناءها علىالحوار،التواصل، المشاركة، والتعبير عن الرأي بكل حرية، والتعايش مع الآخرين، وتنمي لديهم فكرة التنوع والتعدد، واحترام خصوصيات الغير.

والواقع أن فكرة الاعتراف بالآخر، ترتبط – في تقديرنا- بقدرة الوسط الأسري على تغيير الذهنيات والأفكار، لأن" الذهنية الثقافية التي يحملها الفرد تعد عاملا حاسما في تحديد مستوى قدرته على الحوار وتقبله للاختلاف، ويمكن تعريف الذهنية الثقافية بأنها البناء الفكري والاجتماعي الشامل الذي يحمله الفرد للعالم، وقد تكون الذهنية الثقافية للفرد منفتحة أي قابلة لسماع الآخر المختلف وتفهمه، أو منغلقة أمام الآخر غير قادرة على الحوار معه بطريقة بناءة[24].

وتكشف العديد من الدراسات السوسيولوجية الحديثة على أنه من الصعوبة بمكان تحقيق التعايش بين أفراد الأسرة الواحدة في ظل بيئة أسرية لا تقبل التنوع والتعدد، ولا تحترم خصوصيات الآخرين، ولا تتسامح مع الاختلافات، ولذلك يعد الاعتراف بالآخر أداة مهمة في بناء مجتمعات سلمية تحترم سمة التنوع والتعدد.

لهذا فإن الإقرار بثقافة قبول الآخر والاعتراف به تعتبر من مستلزمات الحياة الاجتماعية، حيث تلعب الأسرة دورا أساسيا في تربية أبناءها على هذه القيمة (الاعتراف بالآخر) التي تقوم على الحوار والحرية والتسامح والمساواة واحترام خصوصيات جميع الأفراد، وبناء مجتمع مستقر خال من التعصب والعنف كشرط أساسي لتحقيق التعايش السلمي.

3- إدارة الخلافات بطرق سلمية:

لا تعني السعادة الزوجية انعدام المشكلات التي تواجه الزوجين، وإنما تعني بالأحرى المقدرة عل مواجهة تلك المشكلات والعمل على حلها، ومن ثم فإن الزوجين السعيدين يواجهان بعضا من المشكلات التي قد لا تختلف عما يواجه الزوجين غير السعيدين من مشكلات، ويمكن القول إنه لا يوجد ما يمكن أن نسميه علاقات زوجية غير متوترة فالتوتر وارد كما وكيفا، وكذلك المعاناة وهما موجودان في كل العلاقات الزوجية بنوعيات مختلفة ورجع الاختلاف في نوع التوتر ومداه إلى اختلاف نوع الضغوط والبناء النفسي للزوجين وإدراكهما للتوتر[25].

وفي دراسة عربية على عينة مكونة من 60 من المتزوجين المتوافقين وغير المتوافقين والمطلقين أعدادهم 38- 10- 12 على التوالي، تزوجوا وطلقوا خلال الأربع سنوات الأولى من الزواج، تبين أن مشكلات التواصل تمثل نسبة 33% من جملة المشكلات الزوجية ومنها عدم التفاهم وانقطاع الحوار وعدم احترام آراء الطرف الآخر

وعدم التعبير عن مشاعر الحب، ويليها عدم القدرة على حل الخلافات بنسبة 15%، وخلافات حول تربية الأطفال وعدم التعاون وعدم تحمل المسؤولية بنسبة 15%، ثم مشكلات تدخل الأهل وعدم التعاون وعدم احترام أهل الطرف الآخر بنبة 10%، ثم مشكلات مالية بنسبة 08.50%تتمثل في بخل الزوج، وهناك مشكلات متنوعة منها الخيانة والعناد والمشكلات الجنسية ونقص الاهتمامات المشتركة [26].

ويظهر أن غياب الحوار والتفاهم والتواصل، يمثل السبب المباشر في حدوث الخلافات الزوجية، لذلك يعتبر الإرشاد فبل الزواج من أهم العوامل الدافعة لإنجاح العلاقة الزوجية، "ويستهدف الإرشاد قبل الزواج: إعداد الزوجين للعلاقة الزوجية بكل مسؤولياتها، محاولة إيقاف ردود أفعالهما العدائية في التفاعل الزواجي، تحسين أسلوب التواصل والتحاور بينهما، مساعدتهما للوصول إلى أساليب فعالة في تسوية خلافاتهما، والتعرف على الصراع وتبصيرهما بها وإتقان حل الصراعات بالطرق السلمية"[27].

ثالثا– انعكاسات ثقافة الحوار على الجودة في الحياة الأسرية

يرى الكثير من المختصين في علم النفس الاجتماعي أن التماسك الاجتماعي بين أفراد الأسرة الواحدة يمثل حلا أمثل في معالجة الكثير من المشكلات التي تواجه الفرد في المجتمع، فالفرد إذا ما شعر بوجوده في الأسرة التي تعمل على حل مشكلاته في جو من الحوار والتعاون وتساعده في إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية، وتوفر له نظاما متكاملا من القيم والأخلاق والاتجاهات والمعايير التي تسهل له عملية التفاعل مع الآخرين في المجتمع[28].

إذا، فاكتساب أفراد الأسرة أسس وفعالية ثقافة الحوار والمشاركة، مع تنويرهم بالطرق والمهارات والمعرفة الضرورية بأهمية التواصل والتآزر بينهم، يمثل السبيل الأساسي في المحافظة على الاستقرار الأسري[29].

ولذلك تنعكس ثقافة الحوار على الجودة في الحياة الأسرية من خلال ما يلي:

1–الاستقرار الأسري

تتميز الأسرة عن غيرها من المؤسسات الاجتماعية بأن العلاقات القائمة بين أفرادها تتسم بالحب والدفء، ومن المعروف أن الأطفال في الأسرة يتأثرون بالجو النفسي والعلاقات القائمة بين الأم والأب فالعلاقات الأسرية التي تتسم بالدفء والاهتمام والاحترام المتبادل بين الوالدين مع بعضهما وبينهما وبين أولادهما تجعل الفرد يشعر الأمن والاستقرار وتساعد على التوافق النفسي السليم في حياته[30].

فالاستقرار الأسري هو غاية يسعى الفرد والمجتمع إلى تحقيقها، فهي الضامن لتكوين أسرة قوية وإلى تنشئة الأبناء الصالحين، ومن مظاهر السعادة تمتع الفرد بحياة أسرية سعيدة تساعد على إشباع العديد من حاجات أفراد

الأسرة التي تقوم على الأخذ والعطاء والتعاون المتبادل فيما تقتضيه الحياة من ممارسة للحقوق والمسؤوليات، والتي تعتمد على التفاهم والتعاطف والمودة والاحترام المتبادل والمواجهة الموضوعية للمشكلات الأسرية المختلفة [31].

يبدو أن الاستقرار الأسري بهذا المعنى، لا يتأتى إلا بإرساء قاعدة من القيم المشتركة التي يتقيد بها كل أفراد الأسرة، ويأتي الحوار في أولويات تلك القيم، بوصفه الشرط الضروري لإرساء مبادئ التعايش بين أفراد الأسرة القائمة على مبادئ الاحترام المتبادل ، والتعبير عن ذواتهم بكل حرية.

بهذا المعنى فإن ثقافة الحوار الأسري تخلق نوع من الفعل التواصلي بتعبير **هابرماس**الذي يؤدي إلى تحقيق الفهم والتكامل بين أفراد الأسرة من خلال التفاعلات اليومية التي تعزز بالتواصل والنقاش البناء لتحقيق الاستقرار الأسري المنشود.

2- التعايش السلمي

يعني التعايش السلمي إقامة علاقة بين اثنين أو أكثر من الجماعات حيث تعيش بتقارب يشمل أكثر مجرد العيش بجانب بعضهم البعض، كما يشمل درجة معينة من الاتصال والتفاعل والتعاون يمكن أن يمهد التعايش لتحقيق المصالحة على أساس السلام والحقيقة والعدالة والتسامح[32].

بهذا المعنى فإن التعايش السلمي يخلق نوع من السلم الأسري يؤدي إلى تحقيق التكامل والاندماج الاجتماعي والاحترام المتبادل بين أفراد الأسرة من خلال التفاعلات اليومية التي تتعزز بالتواصل والنقاش البناء لتحقيق الاستقرار الأسري بعيدا عن مبدأ التسلط والتهميش والأحادية والقهر والعنف.

كما تمثل ثقافة الحوار مدخلا أساسيا لتحقيق التعايش السلمي بين أفراد الأسرة، " لأنه عندما تسود قيمة الحوار بين أفراد الأسرة تغيب حالة استفراد الفرد بالرأي وتخف حالة التسلط من قبل الفرد على الآخرين، سواء كان المتسلط هو الأب أو الأخ أو الأم أو الأخت، وقيمة الحوار تستصحب قيمة حرية إبداء الرأي، فلا يعيش الفرد في أسرته قلقا من التصريح أو التعبير عن أفكاره وآرائه"[33].

وبالمجمل فإن التعايش السلمي بين أفراد الأسرة هو مجموعة من القيم والمبادئ وأنماط السلوك التي تسهم في تحقيق جودة العلاقات الأسرية على أسس السلم والاحترام المتبادل، وتبني أسلوب الحوار والاقناع وحرية الرأي والتفكير، ونبذ العنف والتهميش والتسلط والقهر.

3- احترام الرأي والرأي الآخر

لاشك أن الاعتراف بقيمة الآخر وقدرته والحوار معه أصبح جزءا من أخلاقيات التفاهم اليومي لبناء أسس التعايش السلمي، مع التأكيد أن قبول الآخر لا يتطلب فقط معرفة الآخر، بل إن الأمر يقتضي توفر معرفة متناظرة، أي معرفة الذات والآخر بشكل تبادلي[34].

وحتى نعرف الآخر ونقبله، لابد من تأصيل الفكرة التي تؤكد احترام ثقافة الاختلاف وتقبل الآخر كما هو دون تدخل في أفكاره ومعتقداته، "وهنا يأتي دور الحوار ليعطي للاختلاف بعدا إنسانيا يضعه في شكله الطبيعي، ولا يسمح بالتحول إلى طاقة تدميرية، بل إن الحوار يخفض من مستوى سلبيات الاختلاف، ويرفع من

مستوى إيجابياته ليكون الاختلاف في هذا الإطار، دافعا للإصلاح والمراجعة المستمرة، وهذا البعد يمنح الحوار مضمونا مصيريا وموقع مهما في استمرار الحياة الاجتماعية"[35].

وعلى اعتبار أن الأسرة هي البوتقة الأولى التي ينشأ فيها الفرد ويتلقى في كنفها مجمل أساليب التفكير والتعامل، فإن نمو هذه القيمة (احترام الرأي والرأي الآخر) لديه من مسؤولياتها، فاحترام الآباء لآراء أبنائهم منذ الطفولة والاستماع لهم يساعد على تمثل الأبناء لهذه القيمة، وكذلك إن احترام الوالدين لآراء بعضهما البعض ومناقشتها مناقشة هادئة ومرنة تسودها المودة والاحترام ومعبرة عن شيء بدون تعصب أي طرف أو تمسكه بآرائه هذا من شأنه أن يسهم في نقل وغرس قيمة حرية التعبير مع احترام آراء الآخرين[36].

وبهذا يظهر جليا أهمية قيمة احترام الرأي والرأي الآخر بين أفراد الأسرة التي هي انعكاس لثقافة الحوار بينهم، بما يؤدي إلى تحقيق جودة الحياة الأسرية على أساس الحوار والنقاش واستثمار الآراء المختلفة، وتخليص الأسرة من التوترات والضغوطات، وإكسابها مرونة زائدة تمكن أفرادها من مواجهة مشكلات الحياة اليومية.

الخاتمة:

شكلت هذه المداخلة محاولة للتعرف على دور ثقافة الحوار في تحقيق جودة الحياة الأسرية، وقد تبين من خلالها أهمية ثقافة الحوار في الوصول إلى السعادة الأسرية لأنها تقوم على مبدأ الاحترام المتبادل وقبول النقد والتسامح، الاعتراف بالآخر، كما تتجلى أهميتها في الدعم النفسي لأفراد الأسرة، وتحريرهم من مشاعر الكبت والقلق والتعصب، وبهذا تعتبر وسيلة علاجية بنائية قوامها السلام ونبذ العنف والاعتراف بالتنوع والتعدد.

يبدو أن الاستقرار الأسري بهذا المعنى، لا يتأتى إلا بإرساء قاعدة من القيم المشتركة التي تتقيد بها كل أفراد الأسرة، ويأتي الحوار في أولويات تلك القيم، بوصفه الشرط الضروري لإرساء مبادئ التعايش القائمة على الحرية والتعبير عن الذات، والتعاون والتفاعل الايجابي، والتخلي عن الهيمنة وفرض الرؤية الأحادية.

إن الأمر أصبح يتطلب – في تقديرنا- إرساء براديغم جديد للتوافق والتعايش الأسري لتفعيل التواصل والاندماج، وتكريس قيم إنسانية مشتركة مثل: رفض العنف، احترام الرأي والرأي الآخر، التسامح، والتعاون الاعتراف بالآخر، وبالتالي لا يمكن تكريس قيم العيش المشترك بين أفراد الأسرة بدون حوار بناءيقوم على التسامح ونبذ العنف بكل أشكاله.

وبالمجمل، فإن الشعور بالمسؤولية الأسرية ليس مجرد خطابات او شعارات، بل هو ممارسة حياتية تتطلب من الوالدين تربية أبنائهم على ثقافة الحوار في كافة مراحل نموهم، وإكسابهم المعايير والقيم والمعتقدات الايجابية عن أهمية وضرورة احترام الرأي والرأي الآخر، وتقبل النقد، والتعايش السلمي لأن الحوار أساس العلاقات الأسرية المستديمة والبعيدة عن التوتر، وهذا من شأنه أن ينشئ الأبناء تنشئة سوية بعيدة عن الانحرافات الخلقية والسلوكية.

الهوامش:

(1) –سعاد جبر سعيد: سيكولوجية السياسة: قراءات في أحداث ساخنة وشخصيات بارزة. عمان، عالم الكتب الحديث وجدار للكتاب العالمي، 2009، ص 14.

(2)– محمود حيدر: مفهوم الحوار في إشكاليات الاختلاف والتواصل ونظام القيم. مجلة الفكر السياسي الصادرة بسورية عن اتحاد الكتاب العرب، العدد21،شتاء 2005 ، ص ص 220-221.

(3)–حسين جمعة: ثقافة الحوار في مواجهة تحديات العولمة. مجلة الفكرالسياسي الصادرة بسورية عن اتحاد الكتاب العرب، العددان 34-35، صيف وخريف 2009، ص ص 11-12.

(4)– سلوى عبد الحميد الخطيب: ثقافة الحوار مسؤولية من؟.مجلة الحوارالصادرة بالسعودية عن مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطنيالعدد الأول، جانفي 2010، ص 86.

(5)– البحار علي جاسم [وآخرون] : مقالات في الثقافة السياسية (1). البحرين، معهد البحرين للتنمية السياسية،2013، ص 11.

(6)– منى يوسف بحري ونازك عبد الحليم قطيشات: العنف الأسري. عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2011، ص 15.

(7)– خديجة كرار الشيخ الطيب: الأسرة في الغرب، أسباب تغيير مفاهيمها ووظيفتها، دراسة نقدية تحليلية. سورية، دار الفكر، 2009، ص 33.

(8)–أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. بيروت، مكتبة لبنان، 1982، ص 152.

(9)– حمدوش رشيد: مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة إمتدادية أم قطيعة؟ (دراسة ميدانية، مدينة الجزائر نموذجا توضيحيا). الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص 244.

(10)– بركات حليم: المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي. ط10، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008، ص 171.

(11)– محمد أحمد خدام المشاقبة : << جودة الحياة كمنبئ لقلق المستقبل لدى طلاب كلية التربية والآداب في جامعة الحدود الشمالية .>>مجلة جامعة طيبة للعلوم التربوية، الصادرة بالسعودية عن كلية التربية بجامعة طيبة، المجلد 10، العدد 01، 2015، ص 35.

(12)– كاظم كريدي خلف العادلي : احساس الطلبة الجامعيين بجودة الحياة وعلاقته ببعض المتغيرات. مجلة كلية التربية الأساسية الصادرة بالعراق عن الجامعة المستنصرية، المجلد 20، العدد 82، 2014، ص 674.

(13)– رغداء علي نعيسة: جودة الحياة لدى طلبة جامعتي دمشق وتشرين. مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد الأول، 2012، ص 153.

(14)– أنظر: فوقية أحمد السيد عبد الفتاح ومحمد حسين سعيد حسن: العوامل الأسرية والمدرسية والمجتمعية المنبئة بجودة الحياة لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم بمحافظة بني سويف. بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الرابع لكلية التربية ببني سويف حولدور الأسرة ومؤسسات المجتمع المدني في اكتشاف ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة. 03-04 ماي 2006، الموقع:http://www.gulfkids.com/pdf/family_saobat.pdf (تم تصفح الموقع بتاريخ 2016/10/20).

(15)– أنظر: بن عيسى محمد المهدي (وآخرون) : الأسرة الجزائرية في ظل إعادة إنتاج مقومات الجودة الأسرية، ورقة عمل مقدمة إلى الملتقى الوطني الثاني حول: الاتصال وجودة الحياة في الأسرة، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة- الجزائر، 10/09 أفريل 2013. الموقع: http://bu.univ-ouargla.dz/production%20scientifique/national/2013/1.pdf (تم تصفح الموقع بتاريخ 2016/10/22).

(16)– أنظر: عفراء إبراهيم خليل: << المناخ الأسري وعلاقته بالصحة النفسية للأبناء.>>مجلة كلية التربية الأساسية، الصادرة بالعراق عن الجامعة المستنصرية، المجلد 09، العدد 49، 2006، ص ص 484- 486.

(17)– بحرة كريمة: جودة حياة التلميذ وعلاقتها بالتحصيل الدراسي.(رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس تخصص التنمية البشرية وفعالية الأداءات ، قسم علم النفس، جامعة وهران- الجزائر) إشراف: بوفلجة غياث، (2013-2014)، ص 64.

(18)– وسن عبد الحسين شربجي: دور الحوار الديمقراطي بين الآباء والأبناء في التصدي لمشكلات الأسرة (دراسة ميدانية في محافظة بغداد). مجلة الفتح، الصادرة بالعراق عن كلية التربية الأساسية بجامعة ديالى، المجلد 07، العدد 47، 2011، ص 495.

(19)–الوريمي ناجية: في مفهوم التسامح. الموقع: http://www.mominoun.com/pdf1/2016-08/ttasamouh.pdf (تم تصفح الموقع بتاريخ 2016/10/22).

(20)– فيصل نواف عبد الله: التسامح الاجتماعي وعلاقته بالتخصص والجنس وأساليب المعاملة الوالدية لدى طلبة جامعة بغداد. مجلة البحوث التربوية والنفسية، الصادرة بالعراق عن جامعة بغداد، العدد 28، 2011، ص 258.

(21)– أحمد ياسين أحمد: ثقافة العنف وتجليات المجتمع العراقي. مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، الصادرة بالعراق عن جامعة واسط، العدد 05، 2011، ص ص 245-246.

(22)– سعد عبد الزهرة الحصناوي وجاسم محمد عيدي: دراسة مقارنة في التسامح الاجتماعي وفقا لمستويات الذكاء الثقافي لدى طلبة الجامعة. مجلة آداب المستنصرية، الصادرة بالعراق عن الجامعة المستنصرية، العدد 64، 2014، ص 27.

(23)– محمد محفوظ:في معنى الاعتراف بالآخر. الموقع: http://www.alriyadh.com/607312 (تم تصفح الموقع بتاريخ 2016/10/22).

(24)– كشغري أميرة: خلق الذهنية المنفتحة لدعم الحوار وتقبل الاختلاف. مجلة الحوار، الصادرة بالسعودية عن مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، العدد الثاني، أفريل، 2010، ص 30.

(25)– داليا مؤمن: الأسرة والعلاج الأسري. القاهرة، دار السحاب للنشر والتوزيع، 2004، ص ص 60-61.

(26)– المرجع نفسه، ص 61.

(27)–كاظم الشبيب: العنف الأسري، قراءة في الظاهرة من أجل مجتمع سليم. المغرب، المركز الثقافي العربي، 2007، ص 156.

(28)–أنظر: مناف فتحي عبد الرزاق الجبوري: التسامح الفكري وعلاقته بالتماسك الاجتماعي لدى طلبة الجامعة. مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، الصادرة بالعراق عن جامعة واسط، العدد 14، 2014، ص 372.

(29)– أنظر: بن خويا إدريس: فاعلية الحوار الأسري ودوره في تنشئة الطفل. مجلية كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، الصادرة بالعراق عن جامعة بابل، العدد 20، أفريل 2015، ص 08.

(30)–عطا الله فؤاد الخالدي و دلال سعد الدين العلمي: الإرشاد الأسري والزواجي. عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2009، ص 46.

(31)– أنور جبار علي: التوجه نحو الحياة وعلاقته بالاستقرار الزواجي. مجلة الأستاذ، الصادرة بالعراق عن كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، العدد 203، 2012، ص ص 1269-1270.

(32)– حمدان رمضان محمد: التعايش السلمي في العراق بين الواقع والطموح – دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الموصل.مجلة دراسات موصلية.، الصادرة بالعراق عن جامعة الموصل، العدد 36، أفريل 2012، ص 09.

(33)– كاظم الشبيب، مرجع سابق، ص 136.

(34)– جيدوري صابر: ثقافة الحوار في الفضاء الجامعي: أمال وتطلعات. الموقع: pdf.ثقافة الحوار /http://www.achr.eu .تم تصفح الموقع بتاريخ 2016/10/26).

(35)– أيمن عقيل: الدور المنتظر لمنظمات المجتمع المدني في إدارة الحوار المجتمعي في مرحلة ما بعد الربيع العربي. ورقة قدمت إلى: مؤتمردور منظمات المجتمع المدني العربي في الحوار المجتمعي المتعدد الأطراف. القاهرة، مركز دراسات المجتمع المدني بالتعاون مع مركز ماعت للسلام والتنمية وحقوق الإنسان، 2012، ص 17.

(36)– حليلو نبيل: دور الأسرة في ترسيخ قيم المواطنة. مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، الصادرة بالجزائر عن جامعة قاصد مرباح ورقلة، العدد 11، جوان 2013، ص 235.